اللقاء الثلاثون من لقاءات التفسير
في شهر رمضان المبارك من عام 1437هـ

الرابحون وحالهم بعد رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.
- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد) /http://www.muslimat.net

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نسأل الله عز وجل كما أحسن لنا ومدّ في أعمارنا، ونفعنا بهذا الشهر الكريم بالصلاة و الصيام وقراءة القرآن، أن يتقبل منا ويحسن لنا الختام، ونرجو منه سبحانه وتعالى أن لا يجعل هذا آخر عهدنا بهذا الشهر الكريم، وأن يمدّ في الأعمار مع زيادة الإيمان، وأن يجعل ما هو آت خير مما هو ماضٍ من أعمارنا، اللهم آمين.

هذا الشهر الكريم ك أعمارنا وكعادته يأتي سريعًا ويمضي سريعًا، ولابد من أن يسير كل شيء في الحياة، ولابد أن م ن أتى واستبشرنا به أن نودّع ه، نودّع نهاره الجميل بالصيام ولياليه العطرة بالقيام، ونودّع فيه المناجاة التي كانت تطول، وتحري ليلة القدر الذي كان فيه الشوق يحدو السائرين في تلك الليالي ، فإذا ودعّنا هذا استقبلنا أيامًا ننتفع فيها من شهرنا ، فإن رمضان سوق قام فلنخذ كل مما يتاجر فيه ثم انفضّ، ربح فيه من ربح وخسر فيه من خسر، فمن كان محسنًا فليحمد الله وليسأل الله القبول وليأخذ من هذه الأرباح زاد ينفقها على عمره في عامه الذي يستقبله ، ومن كان مسيئًا فليتب إلى الله والعذر قبل الموت مقبول والله يحب التوّابين. نسأل الله أن يغفر لنا ولكم ما سلف من الزلل، وأن يوفّقنا وإياكم للتوبة النصوح قبل حلول الأجل.

لكننا نناقش الآن الرابحين الذين خرجوا بربح من هذا الشهر كيف يكون حالهم ابتداءً من هذا اليوم إلى أن نلقى رمضان مرة أخرى؟

أولاً: لابد أن نذكّر أنفسنا أن هذه الأيام التي تمر تقربنا من آجالنا، قال الحسن البصري رحمه الله: "يا ابْنَ آدَمَ، إِنَّمَا أَنْتَ أَيَّامٌ، كُلَّمَا ذَهَبَ يَوْمك ذَهَبَ بَعْضُكَ"[1].

فإذا فهمنا هذا، وفهمنا أن الأيام تقطع بنا لنصل إلى الله عز وجل وهذا أمر معلوم ما فيه مزايدة؛ لأن كل يوم من أيامنا متجرًا رابحًا، ونظرنا له على أنه فرصة سانحة، لينقل الإنسان نفسه من النقص إلى الكمال ومن الضعف إلى القوة.

ونبدأ في هذا بعدِّ مجموعة خطوات لكي نصل إلى هذا الشأن الذي نريده ، وهو أن نأخذ ربحنا الذي ربحناه في هذا الشهر الكريم ونعيش فيه أيامنا القادمة، مع العلم أن كل يوم من أيامنا سيُقرِّبنا إلى أجلنا، فلابد أن نعامل أيامنا بهذه الصورة أنها تقرِّبنا من آجالنا.

فنبدأ أولاً ببيان الرِّبح الذي ربحناه من هذا الشهر ؛ لكي يكون هو مادة التجارة القادمة، وهذا حال التُّجار أنهم يأخذوا أرباحهم ويضاربوا بها ويرابحوا بها من أجل أن تنموا وتكثر، فنحن سنأخذ أرباحنا من هذا الشهر نسأل الله عزوجل أن نكون من الرابحين المقبولين التائبين المستغفرين، نأخذ أرباحنا ونُقبل على أيام عُمرنا بها.

---

١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (148/2).

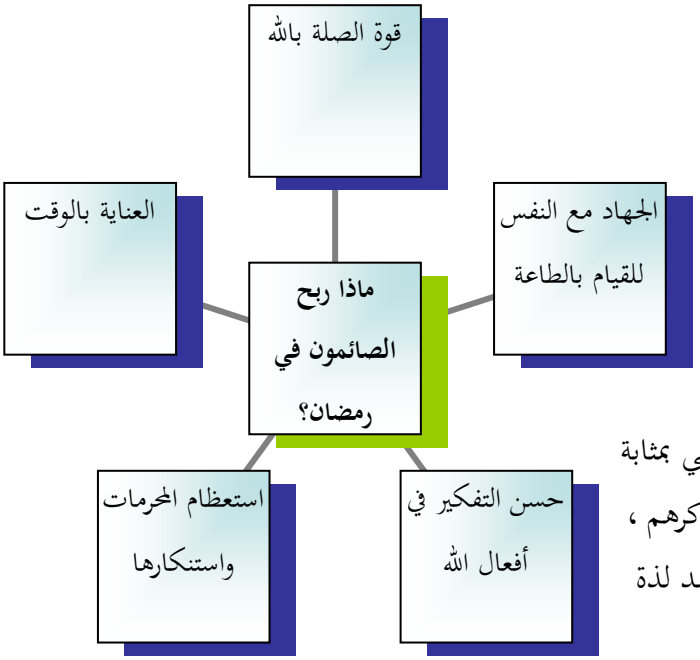

ماذا ربح الصائمون في رمضان؟

أول الأرباح وأهمها:

أننا ذقنا شيء من معاملة الله.

كانت هذه الأيام فيها قوة تعامل مع الله، و المعنى أن الناس في حياتهم العامة دون شهر رمضان يكون لهم سبحًا طويلاً في الدنيا ، في كل يوم يجرّ لهم همّ لازال في الدنيا، وتجد معاملتهم مع ربهم مختصرة جدًا، معاملتهم مع ربهم مُختصرة على الصلوات السريعة والأذكار التي هي بمثابة البرق! النائم نائم فيها والغافل غافل فيها والله أعلم بأحوالهم وقت ذكرهم ، وتجده يتعجّل في كل ما يتصل ب شأن دينه وصلته بربه ، فغالبًا أنه يفقد لذة التعامل مع الله يفقد لذة الوصل به، فيأتي هذا الشهر فيأتون أعظم أرباحك أنك راجعت أو ذكّرت نفسك أو نبّهتها بقوة الصلة مع الله، تصلي فروضك وتبذل جهودك أن تجمع قلبك فيها، تُصلي السنن وأنت مُقبل عليها، تقول أذكارك وأنت تحاول أن تركز فيها ، ثم أنت في هذا كله مانعٌ بدنك بالصيام أن يُشغلك. ثم يأتي لَيْلك فيكون له طعم خاص، مهموم تريد أن يطاوعك بدنك لتصلي التراويح، ثم تأتي العشر الأخيرة فيزيد الأمر وتريد أن يطاوعك بدنك لتصلي القيام في آخر الليل، فتجد من نفسك نفس زادت وقويت صلتها بالله، اعتنيت بمعاملة الله، هذا من أهم الأرباح التي ربحناها ، أننا ذقنا وقت طويل في معاملة الله، فمن ذاق هذا يخرج به ويبدأ يفكر في أيامه المقبلة

كم عاملت الله؟

كم قرأت كتابه وصليت له وذكرته وشكرته؟

كم مقدار المعاملة مع الله في يومي وليلتي؟

وهذه مسألة غاية في الأهمية، الناس في حياتهم :

١. إما مقبلين على ربهم مُعاملين له
٢. وإما معرضين عن ربهم مدبرين لا يُعاملونه
٣. وإما متذبذبين أحيانًا يقوى تعاملهم مع ربهم وأحيانًا يضعف.

أما المعرضين فهذا ليس شأننا، الكلام الآن عن المقبلين والمتذبذبين. المقبلين فهموا {إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام: 162]، فهموا أنك يومك كلّه ليس بيوم إذا ما بقيت تعامل الله. ولحظة الغفلة عن معاملة الله، معاملته هذه كلمة واسعة تأخذ حالتنا كلها يعني أنت تعامله في حال معاملتك لأهل الدنيا كلهم، وأنت تعامله لما تخصّه في المعاملة، تخصه

بالمعاملة تقوم تصلي له، أو أنت الآن تعامل جارك، أو تعامل ضيفك، أو تعامل والديك، أو تعامل أبناءك أو زوجك، أنت الآن تعامل غير الله. الرِّبح الحقيقي أن تبقى تعامل الله وأنت تعامل الخلق وأنت تعامل الحياة، وهذا يجدها الخارج من رمضان لأنه كان الضعيف بدنه وهذه الدابة لا تقبل السير، ويشدها يريدها أن تقف في القيام ويشدها يريدها أن تقرأ حزبها، ويشدها ويشدها.. فهي ضعيفة وهو يشدّها وهي تقسو عليه، فيقول يارب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، يطلب من الله عز وجل أن يرزقه العون على طاعته، يطلب من الله عز وجل أن يمنعه من الزلل، يطلب من الله عزوجل أن يحفظ عليه لسانه فلا يقع في غيبة، تمر على خواطره خواطر باطلة يفزع مباشرةً إلى الله، فتجده قد ذاق معنى معاملة الله. أن يومه وليله كان معاملة مع الله، الرابح الآن الذي سينتفع من تجارته بعد أن ذاق طعم معاملة الله، يخرج وهو تام الثقة بالله، باذل جهده أن لا ينقطع الحبل هذا بينه وبين الله، الذي مدّه بالطاعات والعبادات والذكر طلب العون، والمحافظة على القلب والخوف من الزلل، وحرصٍ على أبواب للطاعة جديدة، يبحث إذا هنا أو هنا باب طاعة، فتجد هذا بفضل الله ذاق فضل معاملة الله، فيأخذ هذا الربح الذي ربحه فيبدأ الآن في المرابحة.

وهنا يأتينا أعظم داء نعاني منه بعدما ذقنا طعم وصل الله: هو داء الغفلة عن المعاملة مع الله ، وأنك أنت في يومك وليلتك تعامل الله، هذه الغفلة هي الداء الخطير الذي يصيب الإنسان ويحوله إلى أعمى، في مقابل أنه في رمضان انكشفت الغفلة وصار حريص، كل شيء يدلّه على الله، كل شيء يجعله يذكر الله، كل شيء يجعله يستعين بالله، لدرجة أنه ينظر منظر الشروق فيثير مشاعره لتسبيح الله وذكره والإيمان به ومعرفة قدرته سبحانه وتعالى، يرى منظر المسلمين وهم يطوفون أو يصلون ويقبلون على طاعة الله فيرى منظرًا مهيبًا، ربي ربّ هؤلاء جميعًا وهم ينادونه! لا يمكن لهذه الملايين التي تناديه على باطل ما تستجيب لنداء الفطرة، كلهم موافقين بربنا الكريم، فهذا وصله كليله ونهاره.

الغفلة الطبيعية هذه شأننا جميعًا لكن نريد أن هذا الرابح يكون حذر من الغفلة، من يريد أن يرابح في هذه المسألة المهمة وهي الوصل مع الله لابد أن يحفظ نفسه من الغفلة، والغفلة بكلمة مختصرة: هو الانغماس في الدنيا والشهوات ونسيان الآخرة وعدم العناية الطاعات (يهملها).

ماذا ستكون النتيجة من الغفلة؟!

يجري جريًا خلف الدنيا ويُعمّرها، فإذا عمّر الدنيا خَرِبت الآخرة لابد!

نأتي لأعظم داء حقيقي يخسِّرنا الأرباح: وهو الغفلة عن الله وعن ذكر الله وعن التعامل مع الله، يغفل، كان أول لما يكسل عن الطاعة يستغيث، يلجأ، لا حول ولا قوة إلا بالله، يأتي الآن لما تنقطع حبال الصلة بينه وبين الله معاملة الله تجده ضعيفا عن الاستعانة بالله، فيجد نفسه في رمضان يصبر على ترك الطعام والشراب يصبر على أمور تمر عليه، يصبر ويصبر، هذا أثر الاستعانة، أثر التعلق بالله والتعامل معه، فتجده في حالة مخالفة فقد قدرته على الصبر، فقد قدرته على تذكر أجر الصابرين وما يُعين على الصبر هذه كله بسبب ماذا ؟ كله بسبب الغفلة.

إذا حصلت هذه الغفلة خسرنا هذا المربح العظيم، وهو معاملة رب العالمين، وهي أهم أمر خرجنا به من رمضان وهو أنه شرِّع لنا هذا الشهر ليقوى في الانشغال بمعاملة الله، يقوى فيه الاهتمام بما أمر الله، يقوى فيه الشوق لما شوّقنا الله، يقوى فيه التفكير في

النار والعتق منها والجنة وبلوغها. كل هذا الانشغال لا تأتي عليك الأشهر بعد رمضان فتجد نفسك غافلاً، هذا المربح العام الذي وصلنا له إليه.

نأتي الآن إلى الأرباح التفصيلية:

من هذه الأرباح التي تدخل تحت القاعدة العامة، وهي أننا ربحنا قوة التعامل مع الله والانشغال به.

الجهاد مع النفس للقيام بالطاعة.

نجاهد نفسنا، نعرف أن أبداننا مجرد دابة، وأن أرواحنا التي بين جنبينا غذاؤها هذه الطاعات، ماذا سنفعل؟ سنجاهد هذه الدابة من أجل أن تنتفض وتسير، فيبقى الإنسان مُتذكر.

من الأرباح التي استفدناها أن الإنسان يبقى مُتذكر، أنه ذاكر ربه، أن ربه هو الذي يعينه على الطاعة، لكن لما يغفل الإنسان أول علامة تظهر للغفلة التكاسل عن الطاعات، وهذه العلامة سببها انقطاع معاملة العبد مع ربه، نحن في شهر رمضان ثقيلة أبداننا ثقيلة ما تستجيب، ننظر لها على أنها دابة ونأخذها نأخذها بالقوة ونستعين ونطلب الله ونرجوه ونخاف أن نُحرم، لكن لما تأتي الأشهر التي بعدها ونحن ما ربحنا في هذا ستكون النتيجة أننا نكسل عن الطاعات وننسى أنه مطلوب منك قبل أن تدخل الطاعة أنك تستعين بالله، لكن تنقطع الصلة مع الله هذه المشكلة! لما نخرج وما نرابح تنقطع الصلة مع الله، يعني يُصلي الإنسان الفجر ويقول أذكاره في غير رمضان كأنه يقول انتهت علاقتي مع ربي! إلى الحياة! لما يؤذِّن المؤذِّن يقول له: حي على الصلاة حي على الفلاح، يأتي، منقطع مغموس في الدنيا يفكر فيها، ماذا سيحصل؟ سيدخل صلاة الظهر وهو في حالة من الضعف، أين استعانتك؟! اطلب الله، جاهد، ابذل جهدك.. انقطعت الصلة! وينظر للصلاة على أنها قاطعة لمشاغله! يُسرع فيها ما استطاع.

لابد أن نعرف أن هذه العلامة خطيرة جدًا، يعني لما ندخل في مُرابحة مع ربنا الآن، فيكون أكثر شيء ندعوه أن يثبّتنا على الإيمان وأن يعيننا عليه وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته؛ لأنه إذا ما حصل هذا أصبح حتى الوقت الذي فُرض في الدين أن يكون خاصًا لله حتى هذا الوقت يصبح ضعيفًا، والناس يكونون فيه غافلين.

فلذا أول الأشياء التي يجب أن نتفق عليها أن نكون في حالة حذر شديد عن التكاسل عن الطاعات بقوة الصلة برب العالمين، وكثرة سؤاله أن يعيننا اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ترتيب أحوالنا على الطاعات، لا ننسى أن الله عز وجل قال في شأن المنافقين: {وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: 142].

هذا كان تفصيل تحت قوة الصلة، بماذا ربحنا؟

رأس مربحنا من شهر رمضان قوة الصلة بالله في الطاعات في العبادات، هذا أعظم مربح خرجنا به. حملنا نفسنا على قوة الصلة بربنا، ناجيناه كلمناه، غفلنا عن الإخلاص ثم رجعنا مرة أخرى، كادت قلوبنا أن تزيغ مع من يدعو للدنيا أو من يهتم بها، ثبتنا الله الحمدلله، فلابد من المحافظة على هذا المربح، الذي يتمثل في كوننا ما نتكاسل عن طاعة الله أبدًا.

نأتي لأمر مهم وهي ربح من الأرباح العظيمة التي أتتنا بعد الصلة بالله وهو

حسن التفكير في أفعال الله

سواءً كانت:

- أفعاله الكونية
- أو أفعاله القدرية
- أو أفعاله الشرعية

حسن التفكير في هذا كله، تأتي تقول لماذا كانت الكعبة قبلة للناس؟

لماذا لا بد للناس من قبلة في الصلاة ؟

قدِّر لو ما كان هناك قبلة؟! قدِّر كيف كل إنسان سيتجه متضادًا مع من حوله! قدِّر هذا وستعرف كم لله من حكمة لهذه القبلة، كيف هذه القبلة أصبحت مهوى الأفئدة! وهي {بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ} [إبراهيم: 37] تصبح مهوى الأفئدة لأي شيء، وهناك حكم عظيمة من أهمها إقامة الدين؛ لأن الناس إذا اجتمعوا على هذا البيت العظيم أُقيم الدين، ولذلك {جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ} [المائدة: 97]، يعني إذا بقيت هي قائمة بقي الناس قائمون، يقوم بها الدين.

المقصود أن من أعظم الأرباح التي استفدناها: حُسن التفكير، يعني نفكر فنخرج بنتيجة أنه سبحان الله لو ما شرع لنا هذا التشريع كيف كان حال الناس؟! لو ما حكم بهذا الحكم كيف كان حال الناس؟! يرى السماء شاهدة والأرض والجبال، يرى الأقدار التي يعيشها كلها شواهد على هذا.

إذن معنى هذا أن الرابح هو من جعل حُسن التفكير الذي اكتسبه من الصلة بالله مُذكرًا له بالله.

كل ما فكّر تجده يُسبح الله تجده يذكر الله، فإذًا تذهب عنه الغفلة بسبب حُسن التفكير، يعني يأتي في موقف مثلاً: ويأتي أحد يُضيّفه على الفطور أو الغداء، وله عائلة فقيرة، وهو هنا مع هؤلاء يأكل ما يشتهي، ثم يجد نفسه لا يستطيع تمامًا أن ينقل هذا لعائلته، فيتأمل الإنسان يعني حتى أقرب الناس إليك هو ما يستطيع أن يوسع عليه إلا إذا أذن الله له. يتوسع عليك أنت ولايتوسع على أقرب الناس لك، الآن التفكير هذا الذي يحصل معنا لما تصفو نفوسنا هو من أهم مرابح الشهر الكريم.

حسن التفكير، تمر عليك مواقف تقول: نعم أنا ما أستطيع أن أنفع نفسي حتى أنفع غيري، تأتيك لقمة لو ما أكلتها الآن فسدت، ما تستطيع أن ترحل بها إلى أهلك، تأكلها وقلبك يتمنى لو كانوا هم أكلوها، لكن أنت لا تستطيع أن توسع إلا على من أراد الله أن يوسع عليه.

يكونوا أحباءك وتتمنى أن لا يصيبهم مرض لكن أنت لا تستطيع. ترى الأرزاق كيف تُقسم وأنت لا تستطيع أن تتدخل في قسمتها.

حسن التفكير هذا من آثار الصلة بالله عزوجل، وهو من الأشياء التي يجب علينا أن لا نتركها ولا نغفل عنها.

نقرأ تربية الله ونرى آثار كمال الله في معاملته لخلقه، ونحذر من الغفلة عن هذا الباب.

إذن نحن نحذر من الغفلة عن الطاعات من أن يحصل فيها تكاسل، ونحذر من ترك حُسن التفكير بالله عزوجل فيحصل عكسه، يحصل ترك حُسن التفكير بالله عزوجل وفي آثار أفعاله، ويبقى مهتمًا بالأسباب المادية والأشياء المجردة المرئية، هذا شأن خطير جدًا.

أيضًا من الأرباح تحت قوة الصلة بالله:

استعظام المحرمات واستنكارها.

وربحنا دعاء الله بأن يسخر لنا الطيبين المؤمنين الأتقياء ، فالعبد في هذه الحال يرى الذنوب فظيعة خطيرة ! ويخاف أن يسحبه أحد صاحب ذنوب؛ لأنه يريد أن يقرب {وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ} [العلق: 19] فهؤلاء يكونون مُعيقين للإنسان.

لكن لو غفل الإنسان عن هذا استصغر المحرمات وتهاون بها فيحصل عليه من قسوة القلب ما لا يُتصور، وقد قال ابن مسعود: "إنَّ المؤمنَ يرى ذنوبَه كأنه قاعدٌ تحت جبلٍ يخاف أن يقعَ عليه، وإن الفاجرَ يرى ذنوبَه كذبابٍ مر على أنفه، فقال به هكذا"[٢].

من المرابح التي ربحناها: أن نفوسنا مع صلتها بالله هجرت المعصية وأبغضتها، كانت تستعظم المحرمات، تخاف من صحبة السوء، تريد أن الذي يجتمع معها يكون من أهل الخير، فكانت النتيجة من هذا الربح ربح آخر أنها تستقبح المعصية وتبغضها وتخافها، لما نبقى نعامل ربنا والإنسان أكيد سيبقى باغضًا للمعصية، أما أن يألف في المعصية ويحبها هذا شأن ما يكون أبدًا إلا لما يخسر المعاملة مع ربنا، يعني الإنسان ما يقبل على نفسه حتى لو وقع في المعاصي ما يقبل على نفسه أن يكون قلبه مكان لمحبتها، هناك فرق بين إني أقع في المعصية تدفعني الشهوة إليها أو تدفعني شبهة إليها، وبين أن يكون لها في القلب محبة، لها في القلب محبة مصيبة كبيرة! معناه أن هذا القلب يحب ما يبغض الله، ومعناه يحتاج إلى إصلاح شديد، بحيث أن تكون محاب الله مقدمة على محابي، ومساخطه مقدمة على مساخطي.

من المرابح التي خرجنا بها من هذا الشهر:

العناية بالوقت.

لما اشتدت صلتنا بالله صرنا نرى الأوقات شيء مهم، وأن في هذا الوقت تلحق تسبيحة {سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} [القدر:5] وهنا استغفار وهنا تذكر وهنا إرشاد للمسلمين وهنا إحسان إليهم وهنا من صنوف الطاعات وتزكية النفس أخذنا أبوابنا الحمدلله.

والمقصد أن على المسلمين فيهم من الخير العظيم بحيث انتفعوا من هذا الشهر بأن يأخذوا أطرافًا من الخير كله، يغفلوا ويخرجوا من الربح لما تنكسر هذه النقطة عندهم، يصبح الوقت عندهم ليس ذا شأن، والأيام هي التي تقطعك إلى ربك، فتضيع الأوقات

---

٢) رواه البخاري.

بلا فائدة وقد ورد في الحديث: ((نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من النَّاسِ : الصِّحَّةُ والفراغُ))[٣]، فلابد من ملاحظة هذا الربح، ملاحظة ربح الصلة مع الله وما أتى وراءها، متى يفقد الإنسان التجارة هذه؟ بكلمة مختصرة لما يحب الدنيا! حب الدنيا رأس كل خطيئة الله جل وعلا يقول: {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (6) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} [الروم:6، 7] سنجد أن حب الدنيا ماذا يفعل؟ يجعل الإنسان في خسارة عظيمة من معاملة الله؛ لأن هذان الأمران لا يجتمعان أنت تحب الدنيا وتريد أن تعامل الله، إنما تعامل الله من وراء الدنيا، يزهّدك فيها تزهد، يمنعك عنها تمتنع، يضيّق لك تبقى صابرًا، يوسعها لك تتوسع وأنت منتفعًا بالسعة للقرب، {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ* يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا }، ولذا الله عزوجل يبيّن الربح والخسارة في القرآن أنه ليس المال والبنون والشهوات هذه هي الأرباح، وإنما الأرباح أن ينظر الله عزوجل إليك فيجدك مُقبلاً عليه، {ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [الحجر: 3] هؤلاء القوم سكروا بالدنيا وأصبحوا يعاملونها كأنهم مخلدين فيها، {يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ}[فاطر: 5] لا تغرك الدنيا، أنت في الدنيا موجود لتعامل الله، أنت موجود لتبقى صلتك بالله، لقد خُلقت للمعاملة مع الله، وليس كمن يفهم الحياة أنه خُلق للدنيا وللشهوات، فتجده إن أحبّ أحبّ للدنيا، وإن عمل عمل للدنيا، وإن خاصم خاصم للدنيا، الله المستعان.

إذن هذا السبب الأول والمهم لوقوع الغفلة وعدم العناية بالصلة برب العالمين، المربح العظيم الذي خرجنا به من هذا الشهر وهذا السبب كما هو واضح: حبّ الدنيا. حبّ الدنيا شيء خطير، حب الدنيا يأكل قلب الإنسان فتأتي أوامر الله وتأتي أقدار الله فلا يستجيب حُبًّا للدنيا وتمسكًا بها.

أيضًا من أسباب وقوع هذه الغفلة: **الجهل بالله**.

ما يعرف هو يعامل مَن! فتجده في رمضان مع الصائمين ومع المصليّن الدّاعين الحمدالله، لكنه ما يعرف الله حقّ المعرفة بحيث أنه يبقى طول وقته وطول زمنه متعلقًا، ولما يحصل منه الخطأ أو يحصل منه ذنب، تجده يستغفر الله، لكن الجُهال الذين يجهلون الله عز وجل تجدهم لا يعتنون بمعاملته، ولا يحتسبون عليه أعمالهم، ولا يفكرون أنه لما ألقاك ارحم ضعفي، لما ألقاك ارزقني قبولك لهذا العمل، لما ألقاك استرني كما سترتني في الدنيا، وهكذا، ما في هذه الحال، ما هو متصور أنه مُتصلٌ بالله، أن الله عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى وهو مع الخلق سبحانه وتعالى محيط بهم، أما فكرة النصارى هذه التي انتشرت مؤخرًا من سنين عديدة طبعًا لكن للأسف دخلت بثوب قشيب عند المسلمين، وهي فكرة عجيبة! أن الله عز وجل خلق الخلق وأعطاهم كل الموارد وتركهم في الأرض يتصرفون! فهو لا قائم عليهم ولا مُعين لهم، وطبعًا الأدهى والأمرّ ولن ينقلبون إليه! ليسوا كلهم يقولون لن ينقلبون إليه لكن كثير منهم يعتقد هذا، فتصوروا أشخاص يظنون أن الله في السماء خلق الإنسان وتركه هو يتصرف، يعني ما أعظم الجهل بالله عزوجل!

الذي يتصور أن الله تركك تتصرف هذا لما تقول له كن ذا صلة بالله والله هو القائم عليك والله هو الذي يدبرك والله يعطيك ويمنعك.. أين تجد في قلبه هذا؟! هو يشعر أن ربنا خلقه وتركه هو يتصرف، هذه الفكرة في الأساس ليست موجودة في ديار

---

٣) رواه البخاري.

الإسلام والحمدلله ، لكن آثارها متسرب علينا أن ربنا خلقنا بقي علينا أننا نجري ونسعى، والصحيح أن السعي هنا سعي القلب والجري جري الفؤاد، يريد المغفرة والتوبة، ويريد بكل خطوة يتحرك فيها يتقرب ولا يبعد **{وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ}**.

أيضًا من الأسباب التي تجعلنا نخسر هذه العلاقة العظيمة التي حصلت بين العبد وربه نتيجة طاعته، من أسباب الغفلة عن هذه العلاقة: الصحبة السيئة، ولذا يقول الله عزوجل إن العبد يقول: **{يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا}** [الفرقان: 27-29] فهذا من أسباب غفلة الإنسان عن طاعة الله عز وجل وعن المحافظة على هذا القُرب بينه وبين ربه.

أيضًا من الأسباب: طول الأمل، يمثّل الإنسان استفيد من اليوم من أجل أن تربح، استفيد من اليوم من أجل أن تبقى صلتك بالله وهو أعظم مربح لك، الآن في هذه الساعة جاءك الاختبار، في هذه الدقيقة أتتك الرفعة، افعل هذا ولا تتأخر، فطول الأمل مُفسدٌ على العبد تفكيره ومُفسد عليه سلامة قلبه الله المستعان.

على كل حال علينا أن ننظر إلى ما نحن خارجين منه على أنه كان زادًا، وعلى ما نحن مقبلين عليه على أننا نزداد منه كل يوم ربحًا بمادة الربح الأساسي التي ربحناها وهي الصلة بالله.

نسأل الله بمنّه وكرمه أن نكون ممن أحسن صلته بربه، وانتفع بهذا لما ذاقه، وحافظ عليه وجعل الأيام التي تتلوه وتأتيه سببًا لزيادة قوة الإيمان وللأرباح، اللهم آمين.

إن شاء الله نلقاكم وأنتم على خير حال في شهرنا المبارك رمضان من عامنا القادم اللهم آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.